

الشعراء 209 :

« ذكرى وما كان ظالماً »

النمل 32 :

« ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون »

المسد 45 :

« وما كنت تأويها في اهل مدين »

القصص 59 :

« وما كان ربك ملك القرى حتى يبعث في امها
رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كان ملك القرى الا
واهلهما ظالماً »

الاحزاب 40 :

« ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول
الله » .

الانعام 33 :

« الا ان قالوا والله ربنا ما كان مشركين » .

والذى بـ « ما » في مثل هذا الاسلوب ، لا
يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على الجملة من
(كان) واسمها وخبرها .

*

اما حين يكون الخبر المفرد الصريح لما ، فالباء
تلزمه ، لم تختلف الا في آية المجادلة :

« ما هن امهاتهم » وآية يوسف : « ما هذا
بشرًا » .

ولامم هذه الظاهرة الاسلامية من غلبة اقتران
خبر « ما وليس » بالباء ، لا يهون القول بأنها حرف
رائد ، اذ ان متنفس القول بزيادتها ، امكان الاستفهام
منها ، وهو ما لا يؤمن به اليه البيان الاعلى .
والمسرون مع النها في ان هذه الباء زائدة
للتأكيد (1) .

وفي منهجنا ، لا تؤخذ الباء في آية من الآيات ،
بعزل عن نظائرها في القرآن كله ، وتد نرى ان الباء

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 4 سورة التلم

كما تحتمل تأكيد النفي في بعض الآيات ، تحتمل نفي
النفي في آيات أخرى .

فانتظر اذن في كل الآيات التي يقترن خبر (ما
وليس) فيها بالباء ، مقارنة بالآيات التي استفسر
الغیر عن الباء ، لعل الاستقراء يهدينا الى خطة
بيانية من أسرار العربية .

ونبدا بخبر « ما » غير المتلوة بالفعل كان ،
ثئراها قد لزمه اطرادا في آيات :

البقرة 8 :

« ومن الناس من يقول آتنا بالله واليوم الآخر
وما هم بمؤمنين » .

البقرة 74 :

« وما الله بسائل مما تعملون » -
« يعملون » معها آيات : البقرة 85 ، 140 ،
144 ، 149 ، وآل عمران 99 .

الانعام 132 :

« وما ربك بسائل مما يعملون » - ت عملون
- معها آيتا : هود 123 ، النمل 93 .

الانعام 107 :

« وما جعلناك عليهم حذينا وما انت عليهم
بوكيلا » معها : الشورى 6 .

البقرة 96 :

« يود احدهم لو يعمر الن سنة وما هو
بمزاحه من العذاب ان يعمر »

البقرة 102 :

« وما هم بضارعين به من احد الا باذن الله .
ق 29 :

« ما يبدل القول لدى وما انا بظلم للعبيد »
معها : نحلت 46 .

البقرة 167 :

« كذلك يربىهم الله امهاتهم حسرات عليهم وما
هم بخارجين من النار »

مسود 29 :

«وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملائقو ربهم » ، معها : آية الشعراة 114 .

مسود 83 :

« وما هي من الطالبين ببعيد »

يوسف 17 :

« وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »

النحل 46 :

« أو يأخذهم في تقلبهم مما هم بمعجزين » .

فاطر 56 :

« إن في مدورهم الا كبر ما هم ببال فيه » .

ابراهيم 22 :

« ما أنا بمحرككم وما أنت بمحركي » .

يوسف 44 :

« قالوا أضيقوا أحلاماً وما نحن بناوبل الأحلام
بعالمين » .

الشعراء 138 :

« وما نحن بمذنبين »

النحل 81 :

« وما أنت بهاد العمى من ضلالتهم » معها :
آية الروم 53 .

ساطر 22 :

« وما أنت بسمع من في التبور »

الصافات 163 :

« ما أنت عليه بثاذبين » .

التكوير 22 ، 24 :

« وما ماحبكم بمحنون ، ولقد رأه بالإنق
المدين . وما هو على الغريب بغيرين »

الطساق 14 :

« انه لغول نصل . وما هو بالهزل » .

الظاهر 2 :

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون »

نهل تكون الباء زائدة مع اطراد مجئها في هذه الآيات ، لم تختلف فيها اذكر الا في آيتها المجادلة : « ما هن أمهاتهم » ويوسف : ما هذا بثرا ؟ او هل يمكن القول بأن الباء زيدت مجرد تأكيد النفي ؟

العربية تعرف اساليب عدة للتاكيد اللفظي والمعنوي ، كالقسم والتكرار ، وادوات التاكيد المعروفة

ولابد ان يكون لكل اسلوب منها ملحوظ بياني يميزه عن سواه .

وقد نحس في كل الآيات التي اقترب فيها خبر « ما » بالباء ، ان سياقها لجحد المتن وانكاره . ولعله قد افني عن الباء في آيتها (المجادلة ويوسف) التقرير المستند من اسلوب القصر بعدها :

« الذين يظاهرون من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي ولدتهن » « وقلن حاش الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم »

*

وننظر في خبر « ليس » فيلتتا البيان القرآني الى خطأ ادراجهما جيما تحت حكم واحد ، يقول بزيادة الباء للتاكيد .

وأول ما يهدى اليه الاستقراء ، هو ان نفرق بين الجمل الخبرية منها ، والجمل الاستفهامية : فحيث يجيء النفي بـ « ليس » في الجمل الخبرية ، في سياق جحد المتن وانكاره ، اقترب الخبر بالباء : كما في آيات :

البقرة 267 :

« ولست بآخديه الا ان تخپضوا فيه »

آل عمران 182 :

« ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للبيه » ومعها آيات : الانفال 51 ،

الحج 10 ، نصلت 46

الأنعام 66 :

« قل لست عليكم بوكيل »

الأنعام 89 :

« مَن يَكْفُرْ بِهَا هُوَ لَا مَدْرَأَ لَهُ وَكُلُّنَا بِهَا تَوْمَأْ
لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ »

الأنعام 132 :

« كُمَنْ مُثْلُهِ فِي الْفَلَمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا »

المائدة 116 :

« قَالَ سَبَحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَتُولَ مَا لَيْسَ
لِي بِحَقٍّ »

الحجر 20 :

« وَجَعَلْنَا لَكُمْ نِعْيَاهُ مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ
بِرَأْقِينَ »

الاحتضان 32 :

« وَمَنْ لَا يَجِدْ دَاءَنِي اللَّهُ مُلِيسٌ بِمَعْزَزٍ فِي
الْأَرْضِ »

المجادلة 10 :

« وَلَيْسَ بِصَارَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ »

الفاطحة 22 :

« مَذَكُورٌ أَنَّمَا أَنْتَ مَذَكُورٌ، لَسْتَ مَلِيمٌ بِمُصِيطَرٍ »

ويستفيي البیان القرعاني في الجمل الخبرية ، من هذه الآيات في خبر ليس ، حين يكون السياق لغير جحد المفهوى وتقرير الاتکاره . مآیة (الرمد) : التي نیها من الشرکین وما كانوا على يقین ما ينفعونه ، وانه للحق لا رب له :

« وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتُ مَرْسُلاً ، قَلْ كُنْ
بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » 43 وآیة (النساء) :
سیاقها الامر بوجوب التبیین والثاكه ، قبل التمجیل
بالنفی : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَنَا اذْنًا فَرِيمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
تَبَيَّنُوا وَلَا تَتَوَلَّوْ لِمَنِ الْفَنِ الْيَكْمِ السَّلَامُ لَسْتُ مَؤْمِنًا
بِتَغْفِيَةِ عَرْضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِمَنْدَ اللَّهِ مَفَاتِمُ كَثِيرَةٍ ،
كُلُّكُمْ كَنْتُمْ مِنْ قَبْلِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا أَنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » 94 .

وآیة (هود) تد افني من تقریر النفی بالباء ،
التمتیب على الجملة الغیریة بما ینتقلها من غیر لم
یعن ، الى ما فی تقریر وكان :

« ولَئِنْ أَخْرَنَا مِنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أَمَةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَتَوَلَّ
مَا يَحْسِبُهُ ، إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَحْسُورُهُمْ هُنْ هُمْ وَحْدَهُمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ » 8 .

وهذه الآيات الثلاث محاسب هي التي لم یترن
خبر « ليس » نیها بالباء ، في الكتاب العربی المبین ،

وسیاقها على ما رأينا ، غير السیاق في سائر
الآيات التي اتترن نیها خبر « ليس » بالباء ، ملائكت
من الانکار الیات ما لا یدع مجالا لای شك في نفی الخبر
المترن بها .

ولا فنی عن الباء في مثل هذا السیاق ، فالخبر
بطبيعته وفي اصل وضعمه اللغوي يحتمل الصدق والکذب
والباء هي التي تنقله من اصل وضعمه الاول ، الى دلالة
النفی الیات والانکار العاسم .

*

فماذا من خبر « ليس » في الجمل الاستهامة ؟
اما هذه فیطرد مجھی الخبر نیها مترننا بالباء ، ولا
يتخلک في القرآن کله .

وما من آیة منها ، يمكن ان تحتمل نفیا او تأکیدا
لنفی ، بل یتنقض النفی بالباء نیها جمیعا ويصیر الى
ایات جازم وتقریر ملزم ، بحيث تستفيي من جواب
المستهم عنه ، او يجاب بلنفی « بل » المختص بایجاب
ما يستهم منه مننیا .

وهذا استقراء لكل ما في القرآن من استهمام من
جمل منفیة بـ « ليس » والخبر نیها صریح مفرد .

الأنعام 30 :

« وَلَوْ تَرَى أَذْ ، وَتَنْوِي عَلَى رِبِّهِمْ ، قَالَ الْيَسَ

هذا بالحق تالوا بل وربينا »

الأنعام 53 :

« الْيَسَ اللَّهُ يَأْعَلُ بِالشَّاكِرِينَ »

الامارات 172 :

« وَأَنْهَمُهُمْ عَلَى نَفْسِهِمُ الْسَّتْ بِرِبِّكُمْ ، قَالَوا
بَلِّ شَهِدَنَا »

هـ 81 :

« ان موعدكم الصبح اليس الصبح بقريب »
العنبر 10 :

« اليس الله باعلم بما في صدور العالمين »
يس 81 :

« اوليس الذي خلق السموات والارض بقدر
على ان يخلق مثلهم ، بل وهو الخلاق العليم »

الزمر 26 :

« اليس الله بكاف مبده ويخونونك بالذى من
دونه ومن يضل الله لما له من هاد » .

الزمر 32 :

« اليس الله بعزيز ذي انتقام »
الاحقاب 34 :

« و يوم يعرض الدين كفروا على النار ايس
هذا بالحق قالوا بل وربنا »

القيمة 40 :

« اليس ذلك بقدر على ان يحبى الموتى »
التين 8 :

« لما يكذب بعد بالدين ، اليس الله باحكم
الحاكمين » .

المعنى في هذه الآيات جميعا قد انتقض وخرج الى
تقرير بات واثبات جازم .

مهل جاء معنى التقرير والاثبات في مثل هذه
الآيات من خروج الاستئهام عن معناه الأصلي على ما
ترره علماء البلاغة ، ملا شان للباء به ؟

المعروف ان الاستئهام قد يخرج الى هذا الوجه من
التقرير ، كما قد يخرج الى وجوه اخرى كالاسترحام او
الزجر والوعيد او التوقع والانتظار .

و هذه الآيات خاصة بالاستئهام من منفي وليس ،
وقد انتقض المعنى لم فيها جميعا وخرج الى تقرير واثبات ،
لا الى اي وجه آخر من الوجوه التي يعرفها البلاغيون في
خروج الاستئهام عن اصل معناه .

ومن حيث اطرد اقتران الخبر فيها جميعا بالباء ،
تعين ان يكون لهذه الباء اثراها في تحديد الدلالة البيانية
وتعيّنها على الوجه الذي لا يتحمل وجها آخر .

ولو قلنا مثلا :

« المست خاما ما حولك » او « اليس الصبح
قريبا » .

لا يحتمل الاستئهام ان يكون على معناه الأصلي ،
وان يخرج الى التوبیخ او التنبیه او السخرية والتهم او
التوقع والتربّب .

ولا شيء من هذه المعانی والدلالة مما تحتمله
آيات الاستئهام عن منفي وليس ، وانما هي للتقرير
والجسم والاثبات ، لا لمعنى آخر .

وهذا هو سر الباء التي تالوا انها زائدة للتاكيد ،
ثم جروا على ابطال عملها اصلة في الخبر ، وأعربوا
منصوبا بفتحة متدرة ، منع ظهورها اشتغال المحل
بحركة حرف الجر الزائد .

كانما هو حرف متحم يمك الاستئفاء عنه ، لكنها
يشغل المحل بحركته فيمنع من ظهور الحركة الاصليّة !

*

وخلصة ما هدى اليه الاستقراء لآياتها في البيان
القرآنى :

— أن الجمل الخبرية المتنبية بما ، اذا تلاما العمل
« كان » بقى خبره منصوبا غير مقترب بالباء .
ووجه الاستئفاء عن الباء ان الذي يحرف « ما »
لا يتوجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على
مضمون الجملة من : كان واسمها وخبرها .

— حيثما جاء الخبر متنبيا بما او ليس في الجمل
الخبرية واقترب الخبر بالباء ، افادت الانكار بما
لا يدع مجالا لشك في ثني الخبر المقرب بما .

— وتلزم الباء خبر (ما) و (ليس) في الجمل
الخبرية بالبيان القرأنى في هذا السياق ، ولا
تختلف الا حيث يكون المقام مستغليا عن تقرير
المعنى او محتملا لشك في ثني الخبر .

— في الجمل الاستئهمية يطرد اقتران خبر ليس
بالباء . وبها ينتقض المعنى ويخرج الاستئهام الى
اثبات جازم وتقرير بات ، لا الى اي وجه آخر
من الوجه التي يعرّفها علم البلاغة في خروج
الاستئهام عن معناه الاول في اصل اللغة .

— ولا يمكن الا يكون للباء اثيرها في تحديد هذه
الدلالة البيانية وقد اطرد اقترانها بخبر (ليس) في
اسلوب الاستئهام بالبيان القرأنى .

تيل نبها جيمعا بحذف « لا » النافية مقدرة ، وهي مسرادة وتأويل الحذف فيها يخضع للقاعدة التحوية في حذف « لا » النافية .

والنحوين يتلون بحذفهما اطرادا في جواب القسم اذا كان المنفي مشارما ، وندموا له شواهد تبللة من الشعر .

اما القرآن الكريم فتدموا منه الآية :
« تالله نفتا ذكر يوسف »

والذي نفهمه هو انه من اطرد الحذف تقولهم (2) فالسياق حتما مستفن منه ، ولا وجه ادن لتقدير الحرف ثم تأويل حذفه .

لان السياق من اعطى المعنى المراد مستغليا من هذا الحرف او غيره ، كان ذكره من المضول او الحشو الذي ينافي منه الكلام البليغ فضلا من البيان المعجز .
اما ما جوزوا فيه الحذف بغير اطراط ، فذكر « ابن هشام » في (مغني اللبيب) انه قبل به في آية :

« يبين الله لكم ان تصلوا » .

على تقدير « للا تصلوا » ، ثم اضاف :
« وقبل المذوق مضان ، اي كراهة ان تصلوا »

والآية من آيات الأحكام في التشريع القرآني للمواريث ، وسياقاتها مستفن تماما من تقدير حرف مذوق لم يجد النص القرآني حاجة الى ذكره ، الا لا يغتر على بال من له ادنى الامان بالعربية ، ايهام ان يكون المعنى : يبين الله لكم ان تصلوا !!

وائما يبين الله لنا ما ننتي به الفضلال .

ومتن اعطى السياق المعنى المراد مستغليا من الحرف الذي قدروه مذوقا ، لذكر المذوق الذي لا حاجة اليه يتنزه عنه البيان العالى ، اذ لو كان الحذف

(1) انتصر « سيبويه » في (الكتاب) على الاصاق في معنى حرف الباء . واحسن « ابن هشام » اربعة

واذ كشف حرف الباء من سره في البيان الاعلى ، يبدو القول بزيادته مما يجفوه حسن العربية المرهف ، ولا يلتفت من هذه الجلوة ان لم يعنوا بها الحشو والمضول بل ادرجوها تحت الحكم العام لمعنى التاكيد بالباء الزائدة .

ولا ادرى ما اذا كان يجدي ان اقول في هذه الباء غير ما قرره النحاة ، لتبقى حربنا اصليا غير زائد على اصل معناها في الاصاق (1) .

وتعمل عملها المباشر في الخبر ملقة به غير متول بزيادتها ، ومنهما مما يستفاد خبر المنفي بما وليس ؟

غير اني لا اشك في اننا لو عرضنا كل المعرف المقول بزيادتها على البيان القرآني المعجز لمهدى الاستقراء والتبيير الى ملاحظة بيانية ذات بال .

وسياقى في القسم الثالث من هذا البحث مثل آخر من قولهم بزيادة حرف (لا) النافية قبل القسم في مثل قوله تعالى :

« لا انسم ببوم القيامة ، ولا انسم بالنمس اللوامة » .

وننظر في حروف اخرى لم يتناولها على تقرير زياقتها بل تدر رواها مخذونة ، وبخوا في تفسير الآيات على تقدير الحرف مذوقها وهو مراد .

ولنأخذ مثلا ، حذف حرف (لا) متدرأ في آيات :

يوسف 85 :

« قالوا تالله نفتا ذكر يوسف »

النساء 176 :

« يبين الله لكم ان تصلوا والله بكل شيء » .

البقرة 184 :

« وعلى الذين يطعونه ندية طعام مساكين »

مشعر معنى لها ، الاصاق اولها . وذكر نبه :

« وقبل هو لا ينارتها » .
انظر حرف الباء في الجزء الاول من (مغني اللبيب) .

معن اللبيب : 2 - 155 ط مصر .

هؤلاء الانطمار والمندية ، وهو على هذا الوجه غير منسوخ » (٤) .

على ان القائلين بعدم النسخ قد ذهبوا في تأويل الآية مذاهب شتى :

— منهم من صرخ بأنها على تقدير حذف « لا » الثانية وهي مراده . ونقلوا عن ابن عباس قوله : « لا رخصة الا للذي لا يطبق الصوم » .

ومن عطاء : « هو الكبير الذي لا يستطيع بجهد ولا بشيء من الجهد . وأما من استطاع بجهد ثم يصمه ولا مذر له في تركه » .

وقال « أبو حيان » في البحر .

« وجوز بعضهم أن تكون « لا » محدونة ، فيكون الفعل منها وتقديره : « وعلى الدين لا يطبقونه » حذف لا وهي مراده » .

ثم عقب :

« وتقدير « لا » خطأ ، لانه مكان الباس ، الا ترى ان الذي يتادر اليه الفهم هو ان الفعل مثبت . »

— آخرون من المسررين لم يصرحوا بتقدير « لا » محدونة ، وإن كانوا يؤولون الآية بما يعطي الحكم مع الأثبات في « يطبقونه » .

اما بتقدير : وعلى الذين كانوا يطبقونه في حال شبابهم وصحتهم ثم مجزوا عنه بالشيخوخة والمرض . نقله الطبرى وأبو حيان . واحد به البغوى فقال :

« وعلى الذين كانوا يطبقونه في حال الشباب نعجزوا ، والرخصة ثبتت للذين لا يطبقونه » (٥) .

اما بتأويله على تقدير : من يدركه رمضان وعليه سوم تضاه من رمضان المتقدم ، فنجد كان يطبق في تلك المدة نتركه ، معلية الندية .

ولا أعلم خلافا بين الفقهاء في جواز الفطر والمندية للشيخ المهرم والمريض لا يرجى برأه بيتضى ، لكنهم اختلفوا في المرضع والحامل تباينا على الشيخ المهرم :

ما يقع في شبهة ابهام ، لافتراض المقام في آية تشريع ، وجوب ذكره دفعا لاي وهم او لبس .

* *

وتبقى آية البقرة في تشريع أحكام الصوم :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تنتقون . أياما معدودات من كان منكم مريضا او على سفر معددة من أيام آخر . وعلى الذين يطيفونه ندية طعام مiskin » ١٨٤ .

والكلام فيها يطول :

الحذف فيها ليس مما يطرد على تواعد النحاة ، وإنما هو مما يجوز ولا يطرد .

وقد اختلف المسورون في تأويلها :

— منهم من قال بأن الحكم فيها مشوش بالإية بعدها ، والرخصة فيها للمريض والمسافر . وهذا القول بالنسخ ، هو ما اختاره الإمام « الطبرى » في تفسيره ونقله « الزمخشري » في (الكشاف) « وأبو حيان » في (البحر المحيط) مع التسريح بأن « هذا قول أكثر المسررين » (١) .

على ان « الإمام الطبرى » نقل كذلك قول من قالوا « لم ينسخ ذلك ولا شيء منه » ، وهو حكم مثبت من لدن نزلت هذه الآية الى قيام الساعة (٢) .

واحترز « ابن كثير » لقوله بعد تلخيص اقوال المسررين قبله :

« نحاصل الامر ان النسخ ثابت في حرق الصحيح المقيم بایجاب الصيام عليه ، وأما الشبيخ الثاني المهرم الذي لا يستطيع الصيام فهو ان يطرد ولا تضاه عليه ، لأنه ليست له حال يصير اليها يمكن فيها من التضاه » (٣) .

وتردد « الزمخشري » بين القول بالنسخ وبين ان يكون تأويل الآية على تقدير : وعلى من « يتكللونه على جهد منهم وهر » ، وهو الشيوخ والمجائز . وحكم

(١) أبو حيان : البحر المحيط ، 36/2

(٢) تفسير الطبرى : 82/2

(٣) تفسير ابن كثير : 405 ط المنار .

(٤) الكشاف : ج 1 سورة البقرة

(٥) تفسير البغوى على هامش ابن كثير : 404 ط المنار .

« هل تطبق هذا »
لا يتولها الا وهو يقدر ان هذا مما لا يحتمل ولا يطاق .

واستعمال القرآن للطاعة اسما وفعلا ، يؤذن بانها بما يستند المجد وطاعة الاحتمال ، كما تشهد بذلك آياتها الثالث وكلها من سورة البقرة .

« قاتلوا لا طاعة لنا اليوم بجالوت وجندوه » 149
« ربنا ولا تحملنا ما لا طاعة لنا به » 286 وبهذا نستأنس في نعم الآية الثالثة :

« وعلى الذين يطقوه ندية طعام مساكين »
لندرك ان الامر في احتمال الصوم اذا جاوز الطاعة وخرج الى ما لا يطاق ، سقط التكليف ، لانه لا تطلب شرعا بما لا يطاق ، والله سبحانه لا يكلف نفسا الا وسعها .

فالندية تيسير على الذين يطقوه ، بمعنى يستند الصوم طائفتهم وانص احتمالهم فليسوا بعبيث يستطيعون القضاء مدة من ايام اخر .

ويصدق الحكم على المريض لا يرجى شفاءه ، وعلى من يتكللونه على جهد منهم ومسر وهم الشيوخ والمجائز ، وحكم مؤلاء الانطمار الندية . وهو على هذا الوجه غير مشروخ .

تيسيرا على من لا يستطيعون القضاء مدة من ايام اخر .

وبقى الآية على صريح نصها .

« وما الذين يطقوه ندية طعام مسکین »
من لا يستطيعون القضاء .
دون تأويلها على حذف « لا » الذائية وهي مراده .

وهذا مثل مما قالوا فيه بعذف العرف . يمكن ان يصدق على حروف اخر تأولوها على الحذف . ويقول النص في البيان القرآني مستفيها عن تدبر حرف محدود ، ولاتنا الى سر البيان في الاستفادة من كل حرف تذروه محدودا .

*

وننظر في حروف اخرى لم يتولوا فيها بتأويل على تدبر زيادة او حذف ، وانما اخذوا فيها بمذهب

اللام الشافعى قال بالندية تبasa على الشيخ الهرم واوجب عليهما القضاء مع الندية .

اما الامام ابو حنيفة لما وجب على الحامل والراسب اذا خانتا على الولد القضاء لا الندية . وبطل القباض على الشيخ الهرم لانه لا يجب عليه القضاء ووجب عليهما . قال : ملو اوجبنا الندية مع القباض ، كان جمما بين البطلين وهذا غير جائز .

وآن لنا بعد هذا كله ان نتدبر الآية ونرد الى القرآن ما تنازعوا فيه . القول بنسخ الحكم فيهما بالآلية بعدهما ، ان لم يوهنه قوله من ترروا انه حكم ثابت من لدن نزلت الآية الى تمام الساعة » .

نقد بقى ان الآيتين تشرعن لحالتين مختلفتين .
الندية على من يطقوه .

والقضاء على من كان مريضا او على سفر . ولا يكل بالقضاء الا من انصر لغيره عارض لم يصوم بعد زوال الغر ، مدة من ايام اخر . وفي مثل هذا لا تقبل الندية بديلا من القباض .

وانما الندية بنص الآية « على الذين يطقوه » .
فهل هم الذين لا يطقوه .

نستبعد ان تكون « لا » محدولة هنا وهي مراده ، فالآلية من آيات التشريع والاحكام ، والفعل فيها ثابت ، وتاويتها على تدبر « لا » محدولة يتضمن الآيات بالمعنى .

ولو كانت الندية على من لا يطقوه ، لأخذ حرف النفي مكانه في نص الحكم الشرعي ولم يدع لنا مجالا لأن نخطط على تأويله بين التباينين من الآيات ونفي .

واذ قيل تعالى : « وعلى الذين يطقوه » لما يبني ان نتاولها بالمعنى فنخرجها الى تقييم حكمها الصريح المثبت نصا .

واحسب ان الذين قاتلوا الآية على تدبر حذف « لا » صراحة او مالا ، فهو « يطقوه » بمعنى يستطيعونه . وليس الكلتان سواء .

في لحظ الاستطاعة حس الطوامة والواسطة والتدرة .

اما الطاقة فهي في العربية لغة القرآن ، اقصى المجد ونهاية الاحتمال .
وحين يتول العربي لصاحبها :

القرآن ، ومناط التعبير فيه ، هذا الانغماس واللامبسة الملحوظة في ظرفية « في » .

وحرف « من » في آية الماعون :

« نويل للصلين . الذين هم من ملائكة ساهون » .

نسنبعد قول من تأولوا السهو عن الصلاة في الآية ، بانه سهو في الصلاة ، وليس السهو فيها بخطيئة ولا منكر ينذر معه السامي بويل . وكل مؤمن عرفة لأن يسمو في ملائكة ، فینجبر هذا السهو فيها بوجود السهو او بالسنن والتواتر على ما هو متز في باب الصلاة من أحكام الله .

وانما الويل للساهين من ملائكة الفائلين عن كونها قياما بين يدي الخالق ، يکبح غرور الإنسان وينهاء عن النحساء والمنكر ، ويرهف ضميره لينتني الله في البييم وفي المسکين مؤديا حثها في التواصي بالرحمة .

وملائكة الذي يدع البييم ولا يحضر على طمام المسکين ، لا يمكن أن تصدر من قلب خاشع وضير مؤمن . وحين لا تنهي الصلاة عن النحساء والمنكر ، لذلك هو السهو عنها ، تعود به طقوسا شكلية ونناقا يراى به الناس .

* *

ومن العروض التي تأولوها في القرآن الكريم حرف الواو في آية النساء :

« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » قالوا ان الواو فيها ثانية عن « او » وتدىكى ان انتقل هنا رد « ابن هشام » :

« ولا يعرف ذلك في اللغة وانما يتوله بعض فرعون اللغوين والمفسرين » .

ثم نقل من كلام : أبي ماهر حمزة بن الحسين الأصفهاني ، في كتابه المسن « بالرسالة العربية من شرف الامرابة » :

« القول فيها - اي آية النساء - بان الواو بمعنى (او) ، مجرز عن درك الحق . ناعلموا ان

للنحو يقول ان حروف الجر يمكن ان تتتعاقب نياخذ احدها مكان الآخر وينوب بعضها عن بعض . وهذا مما يتداولونه ويستدلون به كما اشار الى ذلك « ابن هشام » في (المغني) (1) .

وهو مذهب رفضه من وصفهم « أبو هلال العسكري » بالمحققين من أهل اللغة ، ونقل من « ابن درستويه » قوله :

« في جواز تعاقبهما - اي الحرفيين - ابطال حقبة اللغة ، وأساد الحكمة فيها ، والتقول بخلاف ما يوجه العقل والقياس .

« قال أبو هلال : وذلك ان الحروف اذا تعاقبت خرجت من حلقتها ووتح كل واحد منها بمعنى الاخر فما يجب ذلك ان يكون لمعان مختلفان لها معنى واحد . فابي المحققون ان يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق المعانى » (2) .

وقال « ابن هشام » تعقيبا على قولهم ان بعض حروف الجر ينوب عن بعض :

« وتصحیحه بادخال (تد) على قولهم : ينوب عن بعض ، والا تغدر استدلالهم به ، اذ كل موضع ادعوا فيه ذلك ، لا نسلم ان هذا مما وقعت فيه النيابة ، ولو صحي قولهم لجاز ان يقال : مررت في زيد ودخلت من مصر وكتبت الى القلم . على ان البصريين ومن تبعهم يرون في الاماكن التي ادعيت فيها النيابة ، ان الحرف باق على معناه » فان كان تجوز فهو في الفعل ، لأن التجوز في الفعل اسهل منه في الحرف (3) ونعرض هذا الخلاف على البيان الاعلى فيابس ان نتناول حرما فيه بحرف آخر .

من ذلك مثلا :

قوله تعالى : « لهم في ربهم يترددون » التوبية . قبل ان حرف « في » يمكن ان يتاول بحرف « من » او « اللام » على تقدير :

« لهم من ربهم » ، او ، لربهم ، يترددون « ولا يمكن ان يتم احد الحرفيين مقام الحرف في النس

(1) مغني الليبب 2/163 مصر .

(2) أبو هلال العسكري : المروق اللغوية ، 13 ط الحلبي

(3) ابن هشام : مغني الليبب 2/163 .